**مقدمة**

يُعد موضوع التربية من الموضوعات القديمة قدمه قدم بداية ووجود الإنسان ، إذ كان موضوع التربية ولا يزال محور إهتمام الأفراد والجماعات ، وهو مجال معرفي خصب وواسع تتلاقى عنده وتترابط فيه مختلف العلوم الإنسانية ، ويختلف مفهومه من مجتمع لآخر وفي المجتمع ذاته عبر مراحل التأريخ ، وتختلف المجتمعات الإنسانية فيما توليه من إهتمام جاد بالتربية ، وهو سبب التميز ومؤشر الرقي ووسيلة التحضر والتطور .

تُعد أصول التربية أحد مجالات العلوم الإنسانية ويتضمن العديد من المحاور الرئيسة (الإصول الفلسفية والتأريخية والإجتماعية والإقتصادية والنفسية للتربية) ، ويكاد أن يصبح كلاً منها مبحثاً قائماً بحد ذاته ( فلسفة التربية ، تأريخ التربية ، إجتماعيات التربية ، إقتصاديات التعليم وعلم النفس التربوي) مع ضرورة مراعاة صعوبة تناول أيٍ منها بمعزل عن المباحث الأخرى ،إذ يصعب مناقشة فلسفة التربية دون مراجعة الآراء الفلسفية لمختلف الفلاسفة عبر مراحل تأريخية مختلفة ويصعب تحليل وفهم ظاهرة إجتماعية أو تربوية دون إستيعاب للفلسفة التربوية المعتمدة في ذاك المجتمع أو الإطلاع على معظم المبادئ السيكولوجية المرتبطة بموضوع الظاهرة المعنية بالمناقشة ، ويطلق البعض مسمى آخر على مصطلح أصول التربية هو (أسس التربية) ويقصد به الدعائم الرئيسة التي تعتمد عليها التربية وهي الأسس الفلسفية والتأريخية والإجتماعية والإقتصادية والسيكولوجية.

**فلسفة التربية**

عند التأمل في مصطلح فلسفة التربية يُلاحظ أنه يربط بين حقلين رئيسين من حقول المعرفة الإنسانية هما الفلسفة والتربية ، وربما يسأل البعض ما علاقة الفلسفة بالتربية ، ولكي نجيب عن هذا السؤال ونفهم طبيعة العلاقة بين الحقلين علينا أولاً أن نفهم معنى الفلسفة ومعنى التربية .

الحقيقة لا يوجد إتفاق عام حول مفهوم محدد للفلسفة ، فلو سألنا مختص عن معنى الفلسفة لطلب تحيد سؤالنا بوجهة نظر معينة أي أتجاه أو مدرسة فكرية ، وبدون هذا التحديد سيضطر الى أن يعرض الكثير من الأفكار والآراء الإتجاهات الفلسفية وربما ينتهي بدون تحديد عام لمعنى الفلسفة . ويمكن أن نحدد مفهوم مبسط عام للفلسفة لغرض ربطه بالتربية بأنها نشاط فكري وذهني يستهدف مناقشة مسألة أو ظاهرة أو واقع معين من خلال التأمل والتحليل والمناقشة والنقد على وفق رؤية شخصية محددة أو وجهات نظر مختلفة . وتبحث الفلسفة كونها أحد مجالات المعرفة الإنسانية في مجالات عدة وكان أول إهتماماتها هو مجال الكون وأصل الحياة والموت والروح وغير ذلك ثم إنتقل إهتمامها الى المجال الإنساني ، ويعد "سقراط " أول من نقل إهتمامه الفلسفي من مجال الكون الى المجال الإنساني ويظهر هذا في مقولته الشهيرة " إعرف نفسك بنفسك " لذا يقال عنه بأنه هبط بالفلسفة من السماء الى الأرض .

أما فيما يتعلق بمفهوم التربية فينظر اليها على أنها تلك العملية المستمرة الهادفة الى إحداث تغييرات شاملة في مختلف جوانب الشخصية الإنسانية ، وقد شاع بين المختصين أن للشخصية ثلاثة جوانب رئيسة هي :

* الجانب العرفي ويتمثل فيما يمتلكه الفرد من معارف علمية وغير علمية (حقائق ، مفاهيم ، معاني) فضلا عن القيم والثقافة والفنون وغير ذلك من الخبرات .
* الجانب الوجداني ويتمثل في الجوانب الإنفعالية كالقلق والخوف والحب والكره والغيره وغير ذلك .
* الجانب المهاري ويتمثل بالمهارات المختلفة التي قد يمتلكها الفرد لاسيما الحركية منها .

هناك علاقة ترابط وتكامل بين الجوانب أعلاه ، فكل جانب من جوانب الشخصية الإنسانية يتبادل التأثير مع الجانبين الآخرين ، لذا فأن ملامح الشخصية الإنسانية تتشكل من تفاعل تلك الجوانب ، وبالإمكان إحداث التغير المرغوب في شخصية الفرد من خلال التأثير المنظم والواعي والمدروس في الجوانب وبإستخدام أساليب وتوسل الوسائل المناسبة وهو يتمثل بالجهد التربوي والتعليمي .

ففي الجانب المعرفي تعمل التربية (لاسيما النظامية ) الى توسيع معرفة الفرد وخبراته من خلال تزويده بكم من المعلومات والحقائق والمفاهيم والمعاني (خبرات) فضلاً عن توسيع قدرته على التفكير بأنشطتها المختلفة ( الإدراك الفهم التصنيف والتحليل والتجريد والتركيب والإستيعاب والإستنتاج والتعميم والتحفظ والتذكر) ، وفي الجانب الوجداني تعمل التربية على أحداث التغير في الجوانب الإنفعالية للفرد من خلال التأثير في الجانب المعرفي بما يتضمنه من مفاهيم وبعض الحقائق ، وفي الجانب المهاري تستهدف التربية تنمية وتطوير مهارة الفرد من خلال التدريب والتأهيل .

في المناقشة السابقة حددنا معنى الفلسفة ومعنى التربية ومحاولة تفسير طبيعة العلاقة القائمة بين الحقلين ، وقد أنتهينا الى معنى عام للتربية بأنها عملية مستمرة تستهدف إحداث تنمية شاملة لجميع جوانب الشخصية (المعرفية والوجدانية والمهارية )، ولو تأملنا في هذا التعريف نلاحظ كلمة تنمية ، فما المقصود بالتنمية وبما يمكن أن نتوسل لإحداثها ، ويمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال الرجوع الى مجموعة التعريفات لمفهوم التربية.

* عرفها أفلاطون بأنها إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال .
* أرسطو إعداد العقل للحياة كما تعد الأرض للزرع .
* بستالوزي إعداد الإنسان لتحمل مسؤولياته المختلفة .
* جون ديوي مجموعة العمليات التي تتمكن من خلالها أية زمرة إجتماعية أن تنقل سلطانها وتحقق أهدافها ، ويرى إن التربية هي الحياة .

نلاحظ في التعريفات السابقة أنها تشترك تقريباً في كلمة (إعداد) والسؤال المهم هو كيف نُعد .

يرى علماء النفس أن الفرد يولد وهو مزود بقدرة فطرية وجانب وراثي وإستعداد ، وبالنسبة للإستعداد ووجهان

* التقبل : القدرة على إكتساب المعارف والمهارات والخبرات
* التكيف : التفاعل القدرة على الإنسجام مع الظروف المحيطة

أحدث النظريات التي تناولت موضوع التربية هي نظرية التكيف ويرى أصحابها أن التربية عملية تفاعل بيئته ، ويقصد بيئة التعلم ( جميع المؤثرات والعوامل التي تدخل ضمن حدود إهتمام الفرد وفهمه وتقبل )سواء كانت تلك المؤثرات قريبة أم بعيدة زمانياً أو مكانياً مثال ذلك عندما بدأ الرسول الكريم (ص)بالدعوة الى الدين الإسلامي ونشر مبادئه سرعان ما أخذت تلك الأفكار طريقها الى عقول بعض الناس وبدأت أعدادهم بالزيادة فيما بعد ولا يزال ، وربما السبب وهو البيئة الفكرية المتعطشة آنذاك لمثل هذه الأفكار ، وهذا يمكن أن يفسر لنا سبب إبتعاد بعض الأبناء عن مزاولة مهنة الأب والإتجاه نحو مهن أو حرف أخرى أو إتباع نمط سلوك مغاير لأنماط سلوك أفراد أسرته ، بمعنى أننا بحاجة الى قدرة تمكننا من جعل ثقافاتنا ومعتقداتنا وإتجاهاتنا الفكرية في محيط بيئة أبنائنا في مجمل إهتماماتهم وميولهم وأن تحدد السياسات التربوية على هذا الأساس .

**تأريخ التربية**

من المعروف بأن التأريخ يعني بالأحداث والوقائع والظواهر المختلفة التي حدثت في زمن معين مضى على أفرادا أو جماعات سابقة ، ودراسة الماضي مجال معرفي لا غنى عنه في فهم ومواجهه معطيات معاصرة وفي إستعدادنا للمستقبل ، فالماضي ليس شيئاً منتهي الأثر بل هو بعداً مهما لا يمكن تخطيه من أبعاد الزمن ، فالماضي والحاضر والمستقبل كيان واحد يتضمن بجزئيته ما نتحسس وما نلمس وما ننتظر من الزمن .

تبرز أهمية دراسة تأريخ التربية من أهمية التربية ذاتها على المستوى الفردي والمجتمعي ، فتأريخ التربية ذلك الحقل المعرفي الذي يهتم بدراسة الأهداف والنماذج والأنماط والأساليب التربوية التي كانت سائدة في زمن معين لمجتمع معين ، فضلاً عن المبادئ العامة والمشكلات ما توسلته المجتمعات في معالجاتها المختلفة ، إذ أنها كانت مختلفة في المجتمع الواحد عبر فترات زمنية متتابعة ، كما هو معروف عنها كونها مختلفة أيضاً من مجتمع لأخر في ذات الزمن ، وفي كلتا الحالتين يعود ذلك لإختلاف الفسلفات والغايات والرؤى والأهداف وأساليب التفكير وحتى الإمكانات على إختلاف انواعها وجدية الجهود المبذولة وغيرها مما يمس واقع المجتمع ومعطياتها الثقافية والإجتماعية والسياسية والدينية والعقائدية .

أن دراسة تأريخ التربية تكشف لنا عن مجهودات ومحاولات صائبة وفاشلة لأفراد أو جماعات تجاه مشكلات ومواقف تربوية مختلفة ، أيضا تمكننا من بحث عوامل النجاح وأسباب إخفاق الفاشلة منها ومواطن قوتها وضعفها ، أيضا تكشف لنا عن مشكلات تربوية مضت وتعرف أساليب مواجهتها .

مما سبق تتضح أهمية دراسة تأريخ التربية فيما تزودنا به من حصيلة فكرية ثرية ربما تمكننا من مواجهة مشكلاتنا التربوية القائمة والإستعداد لمشكلات الطريق أيضا نتمكن من تفعيل أساليب معالجاتنا وإنقاذ جهودنا من الهدر والضياع .

**بعض النماذج التربوية**

إنموذج التربية البدائية

المعروف أن جذور التربية الإنسانية ممتدة الى البدايات الاولى لوجود الإنسان على سطح الأرض ، فبالرغم مما عرف عن الإنسان البدائي من بساطة وعفوية ، إلا أنه كان يمتلك شيء من اللغة والعقيدة والفكر فضلاً عن إعتماده أنماط سلوكية إستهدفت ضمان إستمرار بقائه بالحصول على ضروريات الحياة والأمن من الأخطار المحيطة ،تلك الملكة البسيطة للإنسان

أولاً : التربية القديمة

أنموذج التربية الصينية

شهدت الصين في القرن السادس (ق- م) حرباً أهلية طاحنة فعلت ما فعلته في تدمير المجتمع والحياة الإجتماعية في الصين ، فظهرت بعض محاولات الإصلاح منها أشهرها محاولة الفيلسوف المصلح الصيني (كونفوشيوس) التي أستهدفت الإصلاح وإعادة النظام ، فأصبحت أفكاره وآرائه بمثابة عقيدة مثلت نظام فلسفي إعتمد كأساس ومنطلق فكري لتشكيل نظام التربية في الصين .

* تميزت التربية الصينية بأنها محافظة ، بمعنى أنها اهتمت بتنشئة الافراد على عادات وتقاليد موروثة مرتبطة بالماضي ونقلها حرفياً من جيل الى اخر .
* إتصفت بالجمود ، بمعنى أنها كانت رافضة لأي تغيير في العادات والقيم الموروثة .
* عملت على خدمة النظام القائم آنذاك ، من خلال الإعتماد على من إجتازوا الإمتحانات بالتعيين في وظائف رسمية .
* أنها كانت تسمح بالحراك الإجتماعي من فئة إجتماعية الى أخرى .
* أنها كانت تربية شكلية بمعنى أنها أهتمت باللباقة في السلوك على حساب التنشئة الخلقية
* التعلم كان آلياً بمعنى الإهتمام بتزويد الأفراد بالمعارف التي تمكنه من صياغة سلوكه.
* أكدت على مسألة الحفظ الحرفي للمعلومات مع ضرورة السرعة الممكنة في القراءة .
* عملت على تمرين الذاكرة من خلال التلقين والتكرار لا تمرين الفكر .
* لم يكن للنساء نصيب في التعليم .
* لم تهتم بشخصية متكاملة للفرد بل ركزت على الجانب المعرفي وفي حدود ضيقة .
* أهتمت بتعليم القراءة والكتابة .

التربية المصرية القديمة

* إستهدفت التربية المصرية بشكل عام تأكيد سيطرة الحاكم ورجال الدين .
* شيوع الطابع الديني ، إذ أنها أهتمت بإعداد الفرد ليوم الحساب ، فالمصريون القدماء كانوا يؤمنون بالحياة الآخرة بعد الموت .
* أنها كانت تسمح بإنتقال الأفراد من طبقة الى أخرى
* أهتمت بتعليم الأدب واللغة وأيديولوجية الدولة .
* أهتمت بتعليم اللغات الأجنبية لتعزيز علاقات النظام مع الدول المجاورة ز
* إهتمت بتعليم العزف الغناء الديني .
* أهتمت بتدريس العلوم لإهتمامها المصريين حين ذاك بتحنيط الجثث لإيمانهم بالبعث بعد الموت ، وعود الأرواح الى الأجساد لذا إهتموا بتحنيط جثث ملوكهم .
* أهتمت بتدريس الرياضيات وحساب المساحات لإهتمام المصريون القدماء ببناء الاهرامات كمقابر لملوكهم .
* أخضعت تدريس العلوم وبعض المهن لنفوذ الكهنة .
* إعتمدت التربية المصرية على التقليد والتكرار في تعليم القراءة والكتابة ، والحفظ والاستظهار في تعليم الادب الدني .

**التربية اليونانية القديمة**

إنموذج تربية إسبارطة

1. ركزت التربية السبارطية على التربية الجسدية لسببين :

* الموقع الجغرافي لإسبارطة في منطقة جبلية فرضت الحاجة الى إعداد افراد قادرين على تحمل الحياة القاسية في هذه المنطقة .
* خدمة النظام القائم الذي أتصف بالإستبدادية مما جعله مهدداً داخلياً من ثورات كانت تحدث نتيجة الحقد الطبقي لاسيما بسبب فرض الضرائب المرهقة لكاهل الطبقات العبيد والوسطى ضد الطبقة الأرستقراطية ، فضلا عن أعمال العنف والقتل العمد المتبعة ضد العبيد والفلاحين .
* الاخطار الخارجية المرتبطة بسوء العلاقات واطماع النظام القائم بالمناطق المجاورة ومحاولات السيطرة عليها .

1. التربية الاسبارطية أهملت الجوانب الخلقية والإجتماعية ، وركزت على التدريبات العسكرية والرياضية .
2. أنها كانت محافظة على التقاليد والقيم الموروثة .
3. كان للبنات نصيب من التعليم .
4. إهتمت بالوصول بالفرد الى الطاعة العمياء للنظام الحاكم .
5. الصدق والأمانة لها معايير خاصة في التربية الأسباطية وتعد ما يتعاكسها ضرورة في التدريب العسكري .
6. تعود التربية الاسبارطية الى المشرع (ليكرجس) .